

الاستعارة اللغوية بين الفرنسية والعربية وأثر التداخل الأسلوبي في تنمية المعجم العربي الحديث

د/ فتوح محمود

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف(الجزائر)

الملخص:

يعالج هذا المقال قضية كثر حولها الكلام في العصر الحديث وهي قضية التداخل اللغوي، وقد أطلق عليها المحدثون اسم الاستعارة اللغوية، والتي هي استعارة ألفاظ من لغة أخرى عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، ومرد ذلك التداخل ناتج عن الفتوحات الإسلامية لدول جنوب أوربا والمواصلات التجارية والغزو الثقافي والفكري، وبخاصة القرن الذي نعيشه القرن الواحد والعشرون، قرن التطور التكنولوجي والعلمي والجيل الرقمي، وهذا الأمر انعكس على نقل المفاهيم الغربية إلى الساحة العربية التي أضحت في بعض الأحيان عاجزة عن التعبير عن بعض المصطلحات العلمية ذات الأصول العربية.

وتعد اللغة الفرنسية من بين اللغات الأوربية الحديثة والتي أثرت وتأثرت باللغة العربية، بحيث اقتبست منها كثير من المفردات وتركت فيها بعض الآثار على لسان ناطقيها في مصر والشام والعراق وشمال افريقية، فتأثرت بذلك اللغة العربية أيما تأثر في أساليبها وأخيلتها ومنهج علاجها للمسائل، وانتقل إليها كثير من المفردات الأوربية في مصطلحات العلوم والفنون وما إلى ذلك، فازدادت بذلك ثروة لغوية في معجمها وقدرة على التعبير بأساليب أجازتها المجامع اللغوية العربية،

وقد أثبتت دراسة معمقة قام بها محمد رشاد الحمزاوي في مدى دور الاستعارة اللغوية في تنمية المعاجم العربية، وبخاصة في العملية الإحصائية التي أجراها حول معجمين بارزين في الدرس اللغوي الحديث، ألا وهما: المعجم الوسيط والمنجد، بحيث تركز جهده التطبيقي على حرف الباء من المعجمين ليدرك أهمية الاستعارة المطبقة ولتمييز مواقف المعاجم العربية الحديثة منها.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة اللغوية، الفرنسية، العربية، التداخل، الأسلوب، المعجم العربي.

Abstract:

This article addresses a very interesting subject in our modern life, which is the «language interfrenc» this latre mostly called as a «language borrouing», in which, every community arounde the morld may use some vocabulary (words). From aut of its mother tongue when it is in need for that,this language interference may be rejected to the islamic –openings to the southorn european countries, trade exchange, and acculturation, especially, the twenty first's Century. Which were living in. Because of its technological advance, and scientific too. Which reflexes problema. Of taking a such

western definition to the arabic communities which are not able to express on some of its scientific concepts. Although, they're arabic in its origin.

Among the european languages, the french language is considered as a european modern language as well as this later, too. therefore, we can find some french vocabulary used (through) the arabic and the contrast. so, many communities like, egypt, iraq, syria, and the north african countries are influenced by these vocabularies from the french language (as a foreign language). So that, the arabic language influenced in its methods, its approach. To treat the issues too many words of the foreign language moved to the arabic language. As a result of our communities in many fields such as science, arts.

In-depth study carried out by Mohammed Rashad Hamzaoui the extent of the role of linguistic metaphor in Arabic dictionaries Development has shown, particularly in the statistical process conducted by about lexicon prominent linguistic lesson talk, namely: the lexicon Alwasit and Almonjid, so his application focuses on Albaa (B) character from lexicon to realize the importance of borrowing applied and distinguish the positions of the modern Arab dictionaries from them.

Key words: language borrowing, French, Arabic, style, interference, the Arab lexicon

مقدمة:

تعدّ اللغة ظاهرة اجتماعية وجسر التفاهم والتواصل بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، وأهم مقوم من مقومات أي أمة من الأمم، فتميزها من غيرها سمة تطورها ورفيها، كما تعبر عن واقعها من حيث التطور أو التخلف ومن حيث القوة أو الضعف، فعندما تكون الأمة قوية وعزيرة فإن لغتها تعزز بعزتها وتزداد انتشارا، وعندما تضعف الأمة فإن لغتها تزداد ضعفا وخمولا.

وإن الذي نشهده اليوم في عصرنا الحاضر وجود بعض الأفراد يُحب لغة غيره إلى حد الإعجاب الذي يبهر العقل فيأخذ من هذه اللغة ألفاظا غير معروفة في لغته الأم، وهذا ما حدث للغات الأولى مثل العبرية والآرامية والإغريقية التي احتكت فيما بعضها وتلاقحت مفرداتها فأصبحت كل لغة تستعير من لغة أخرى نتيجة الأعمال التجارية والهجرة والرحلات وامتزاج بعض القبائل فيما بينهم.

وإن المتأمل لواقع اللغة العربية في الوقت الحاضر يجد أن هذه اللغة الشريفة قد أصابها وابل من الدخيل والأجنبي في ألفاظها وتراكيبها، بعدما كانت لغة العلوم والحضارة، وفي هذا يحدثنا

مصطفى صادق الرافعي بقوله: "ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة ويركبهم بها، ويشعرهم عظمتها فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محو ونسياناً، وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع"¹.

وبما أن اللغة التي استعارت مفرداتها للغات الأخرى دليل على أنها لغة حية أثرت في غيرها وتأثرت بهم، وهذا نموذج من احتكاك الشعوب فيما بينها بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والعرقية التي تتحكم في طبيعة العلاقات الاجتماعية وفي مدى تداخلها².

ومن غير المنطق أن تجد لغة بمأمن من استعارة الألفاظ من لغة أخرى؛ لأن هذا الأمر سنة الحياة وظاهرة توضح مدى تأثر وتأثير المجتمع الواحد بالمجتمعات المجاورة أو المحتكة معها، وفي هذا يقول فندريس: إن "تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمراً مثالياً، لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثير ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها"³.

ويذكر عبد الصبور شاهين أهم العوامل التي أدت إلى الاستعارة اللغوية، والتي بها تمّ تأثر وتأثير اللغات بعضها ببعض، ويجعلها في عاملين يتحكمان في مسيرة الصراع اللغوي أو في نتائجه، وهما⁴:

1- الوضع الحضاري للغة، وهو الأهم.

2- حجم الشعوب التي تتكلمها.

وإن الباحث في القاموس العربي يجد أن اللغة العربية قد استعارت كغيرها من اللغات الأخرى مجموعة من الكلمات الأجنبية التي لا عهد لها بها ولم يألفها العرب في لغتهم الأصلية، وذلك بداية من العصر الجاهلي، وقد أثبتته المدونات الشعرية وتداول في الاستعمال العربي في القصائد الشعرية والنثرية في العديد من المناسبات، مثل قول الأعشى⁵:

عليه دَيَائُودُ تَسْرِبِلُ تَحْتَهُ أَرْنَدَجُ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلِمًا

وفي هذا البيت نجد أن به كلمة دخيلة على اللغة العربية ولم توجد في معجمها اللغوي، وهي لفظة: (الأَرْنَدَجُ واليَزْنَدَجُ) والتي أرجعها الجوالقي إلى الأصل الفارسي من (رُنْدَه)⁶، وبالتالي فهي "كلمة معربة وهي اسم لضرب من الجلد الأسود اللون أو المدبوغ بالفضفص"⁷.

وإن الباحث في النص القرآني عن الدخيل والأجنبي يجد أنه قد وقع حوله خلاف كبير في وجود به ألفاظ أعجمية⁸، وقد أثبت القرآن الكريم بأنه "المدونة الوحيدة التي اعترفت بظاهرة الاستعارة اللغوية أسلوباً جديداً، ولقد دافع القرآن عن ذلك العدول بطريقتين متكاملتين: أولهما: أنه لم يتحرج من استعمال ألفاظ مستعارة قد وصفها وجمعها Jeffrey. أما الطريقة الثانية: فهي تبرز لنا في موقف قرآني دفاعي تكرر على الأقل ثمانية مرات، ومفاده أن القرآن قد أنزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁹10.

مفهوم الاستعارة اللغوية: حدد المحدثون مفهوم الاستعارة اللغوية بمعنى: "استعارة ألفاظ من لغة أخرى عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، وتطراً على الألفاظ المستعارة تغييرات صوتية وصرفية تنسجم مع بنية اللغة المستعيرة وتندمج فيها، ويسهل الاشتقاق منها"¹¹.

وقد عدّها أحمد مطلوب (ت2004م) وإبراهيم بن مراد: نوع من أنواع الافتراض اللغوي الذي تلجأ إليه اللغات لسبب من الأسباب¹²، وقد أطلق عليه محمد رشاد الحمزاوي ومحمد الديدواي اسم: (الاستعارة اللغوية)¹³.

ولا يقصد محمد رشاد الحمزاوي بها الاستعارة البلاغية المعروفة، بل "ما شهر بالمعرب والدخيل، وهو كل ما تستعيره لغة معينة من لغة أخرى، مجاورة أو مباحة أو وراثية على مستوى الألفاظ والصرف والنحو والأساليب، سعياً وراء تحقيق توازن نظامها الذي خلى من مقولات لغوية لم توفرها بوسائلها الذاتية، وذلك لأسباب حضارية وثقافية"¹⁴.

وكان اختياره لهذا المصطلح عوضاً عن المصطلحات الأخرى راجع لسببين مترابطين باعتبارهما:

1/ معناه العام الذي يعبر تعبيراً شاملاً عن هذا المظهر من التوليد اللغوي دون أن يكون فيه لبس.

2/ متابعة مختلف تصوراته عند العرب القدامى والمحدثين، ومعرفة مدى إدراكهم لمعناه نظرياً وتطبيقياً بالاعتماد على ما أطلقوا على الاستعارة اللغوية من مصطلحات مختلفة، وهي عديدة لا تأمن اللبس والاضطراب¹⁵.

أولاً: الاحتكاك اللغوي بين العربية واللغة الفرنسية:

لقد أتيح للغة العربية في أثناء الحروب الصليبية فرض الاحتكاك باللغات الأوروبية الحديثة، فاقبست منها هذه اللغات كثيراً من المفردات وتركت فيها بعض الآثار، وفي العصر الحديث كثرت فرص الاحتكاك بينها وبين هذه اللغات وتنوعت أسبابه بفضل انتشار الثقافة الأوروبية

بمصر والشام والعراق وشمال افريقية، وبفضل البعثات العلمية التي أوفدها هذه البلاد إلى الغرب، وترجمة منتجات الفرنجة إلى اللغة العربية، فتأثرت بذلك اللغة العربية إما تأثر في أساليبها وأخيلتها ومنهج علاجها للمسائل، ونشأت بها فنون جديدة كفن القصص التمثيلي وما إليه، وانتقل إليها كثير من المفردات الأوربية في مصطلحات العلوم والفنون.. وما إلى ذلك فازدادت بذلك ثروة وقدرة على التعبير¹⁶.

ومن نتائج هذا الاحتكاك بروز ظاهرة اقتراض الألفاظ من اللغات الأجنبية، يقول إبراهيم أنيس: "فما يسمى باقتراض الألفاظ ليس في الحقيقة إلا نوعا من التقليد، مثله كمثل تقليد الطفل لغة أبويه أو الكبار حوله، غير أنه تقليد جزئي يقتصر على عناصر خاصة، في حين أن تقليد الطفل للغة أهله تقليد كلي يتناول كل ما يسمع من ألفاظ، و قد دلت الملاحظة على أن اللغات منذ القدم يستعين بعضها بألفاظ بعض، حدث هذا بين اللغات القديمة ولا يزال يحدث بين اللغات الحديثة"¹⁷.

ونوضح هذا الاحتكاك اللغوي في اللغات الأوربية الحديثة، وبخاصة اللغة الفرنسية والإنجليزية اللواتي كانتا أقرب اللغات تأثرا وتأثيرا، وسنميز بينهما فيما يلي:

1/ اللغة العربية والفرنسية: كانت اللغة العربية زما مضى أكثر اللغات حضارة وتقدما، بحيث كان لها تأثير كبير في اللغات الأوربية منذ القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، وهذا التأثير استمر فترة من الزمن في الجهة الجنوبية من أوربا في الأندلس وصقلية وما حولهما حتى آخر القرن الخامس عشر الهجري، غير أن الوجود العربي بدأ يتقلص في تلك البلاد، ولكن هذا لا يعني زوال بعض الكلمات العربية على ألسنة سكان هذه البلدان، بل تركت العربية بصمتها على ألسنة المتكلمين بالاسبانية أو البرتغالية أو غيرها من اللغات في القارة الأوربية الجنوبية إلى اليوم.

وتعد اللغة الفرنسية من بين اللغات الأوربية الحديثة التي احتك بها العرب، وبخاصة في فترة النهضة العلمية الحديثة في الوطن العربي حينما أرسلت البعثات العربية المتتالية إلى فرنسا لتتعلم في ميادين مختلفة، والتي بدأتها مصر سنة 1809م في عهد محمد علي، ثم تبعتها بعض الدول العربية مثل الجزائر وسوريا، وبعد أن تعلموا من الثقافة الفرنسية أصبحوا سفراء ورواد لحركة الترجمة والتأليف بحسب تخصصاتهم، وهذا الإعجاب سار بالقائمين على تعليم النشء بتفضيل التدريس باللغات الأجنبية كالفرنسية بدلا من العربية، اعتقادا منهم أنها أساس التطور والحضارة¹⁸.

ومن الأمثلة التي توضح التداخل اللغوي بينهما ما قدمه الكاتب الفرنسي بيير جيرو في كتابه عن (الكلمات الأجنبية) الذي وجد به قائمة تحتوي على مائتين وثمانين كلمة دخلت من اللغة

العربية إلى الفرنسية في العصور المختلفة، وقد وزعها بعناية على تواريخ اقتراضها¹⁹، ومن بينها الكلمات الآتية التي يظهر أصلها العربي من أول وهلة، والجدول التالي يوضح ذلك²⁰:

الأصل الأجنبي	النطق العربي
Calife	خليفة
Sucre	سُكر
Girafe	زرافة
Sultan	سلطان

وقد يظن بعض القراء أن اللغة الإنجليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها، بحجة أن الجزر البريطانية كانت بعيدة كل البعد عن الفتح العربي للجنوب الأوربي وحوض البحر الأبيض المتوسط، لكن الغزو الفكري والعلمي العربي لم يترك مكانا في أوروبا إلا ووضع بصمته، وهذا ما وجدناه في اللغة الإنجليزية من القدر الكبير من الكلمات ذات الأصول العربية، ونجد بعض الباحثين يخصيها إلى بضع مئات دخلت الإنجليزية مباشرة أو بالواسطة، ولكن صلة العربية بالإنجليزية بدأت متأخرة في منتصف القرن الحادي عشر ميلادي ولمدة خمسة قرون على الأقل بعد ذلك، ويذكر عبد الصبور شاهين أن أغلب ما تسرب إلى الإنجليزية عن طريق اللغتين الإسبانية والبرتغالية اللتين تحتويان عددا يربو على (1500) ألف وخمسمائة كلمة ذات أصول عربية على ما قرره العلامة دوزي.

وفي بحث قدمه أنيس المقدسي إلى مجمع اللغة العربية تعرض لتحقيق (140) مائة وأربعين لفظة عربية واردة في معاجم اللغة الإنجليزية، وهي ألفاظ توضح وتسجل عملية تسرب العربية في الإنجليزية في العصر الوسيط، وفي العصر الحديث نجد أن اللفظة العربية الأصل اقتترضته اللغة الإنجليزية وصبغته بصبغتها النطقية ثم أعادت تصديره إلى البلدان العربية على غلاف المنتجات الحضارية الجديدة، والجدول التالي وضح هذه المراحل الثلاث²¹:

الأصل العربي	الصورة الأجنبية	النطق العربي المعاصر
دار الصناعة	Arsenal	ترسانة
حبل	Cable	كابيل
صك	Cheque	شيك
قميص	Chemise	شميز

زيرو	Zéro	صفر
مجازين	Magazine	مخزن
سيرب	Sirup	شراب

نستنتج من هذا الجدول أن الألفاظ الأجنبية التركيب العربية المصدر قد طغت على اللسان العربي وأخذت مساحة كبيرة في الاستعمال، وهذا ما يدل أننا نعيش في فترة التخلف العربي بعدما كانت العربية لغة الحضارة والعلوم منذ قرون خلت، ولو بقيت على هذا النهج وعمل أهلها في التقدم والاستمرار لبقيت هذه الألفاظ بصيغتها العربية على ألسنة الناس دون الحاجة إلى معاودة استيرادها إلى الحقل اللغوي العربي.

ثانياً: أثر الاستعارة اللغوية في تنمية المعجم العربي الحديث:

لقد أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة مدى دور الاستعارة اللغوية في تنمية المعاجم العالمية والعربية الحديثة، ومن بين الإحصائيات التي أجراها بعض الدارسين من توضيح مدى أثر المعاجم العالمية ما استعرضه إبراهيم أنيس حول المعجم الفرنسي الذي وجده "يتضمن نحو 4635 كلمة وجد منها 2028 كلمة فقط من الأصل اللاتيني الذي يعد المصدر الأصلي للغة الفرنسية، ووجد 925 كلمة من اللغة اليونانية، و604 من الألمانية، و285 من الإيطالية و154 من الإنجليزية و146 من العربية و119 من الإسبانية و96 من الكلتية و34 من التركية و36 من العبرية و25 من السلافية، و99 من اللغات الآسيوية و63 من اللغات الأمريكية الهندية و06 كلمات من لغات إفريقيا و04 كلمات من المنغارية و10 من البرتغالية و02 فقط من البولندية"²².

أما مدى دور الاستعارة اللغوية في تنمية المعاجم العربية، فقد أثبتت دراسة معمقة قام بها محمد رشاد الحمزاوي، وبخاصة في العملية الإحصائية التي أجراها حول معجمين بارزين في الدرس اللغوي الحديث، ألا وهما: المعجم الوسيط والمنجد، بحيث تركز جهده التطبيقي على حرف الباء من المعجمين ليدرك أهمية الاستعارة المطبقة ولتتميز مواقف المعاجم العربية الحديثة منها، وبالتالي توضيح مكانتها التعليمية العربية المعاصرة، وقد ابتداءً باستخراج جميع الاستعارات من المعجمين المذكورين، والموجودة بحرف الباء منهما، وقد كانت النتائج المتوصل بها من الألفاظ المستعارة:

1- المنجد: يحوي 83 استعارة مما يقارب 1485 مدخلا من مداخل حرف الباء، وذلك ما يمثل تقريبا بـ 5% من مجموع المداخل.

- 2- المعجم الوسيط: يحوي 102 معربا ودخيلًا، مما يقارب 2430 مدخلا من مداخل حرف الباء ، وذلك ما يمثل 4% من مجموع المداخل. إن النسبتان محترمتان لا تختلفان عن نسب الاستعارات في المعاجم الأوربية ولا سيما معجم لا روس الفرنسي.
- 3- المعجمين يحويان 34 لفظا مشتركا، أما الباقي فهو مختلف تمام الاختلاف، والملاحظ أن هذه الاستعارات المشتركة هي من الاستعارات القديمة، مما يدل على أن المنجد يحتوي ما يقارب من 50% من المصطلحات القديمة، وهذا دليل على المحافظة، ولقد سعى المعجم الوسيط إلى أن يحدد استعاراته فلم يحو من الاستعارات القديمة إلا الثلث (102/34).
- 4- إن جل الاستعارات الواردة في المعجمين تعبر عن ميادين مختلفة منها الشؤون العامة والطعام واللباس والعلوم لاسيما الكيمياء وما إليها.
- 5- المنجد لا يفرق بين الدخيل والمعرب، ويكتفي أحيانا بأن يقول: (عربيتها كذا)، أو (فارسية عربيتها كذا)، أو (الكلمة معربة)، مثل: البابور: كلمة فارسية عربيتها الحظ. وبرنيطة: غربيتها القلنسوة. والبلاس: الكلمة معربة.
- 6- إن اعتبرنا الأوصاف الواردة في النقطة الخامسة السابقة نلاحظ أن المنجد قد وصف 12 لفظة بـ(عربيتها كذا) أو (فارسية عربيتها كذا)، وكلمة واحدة بـ(معربة)، أما الباقي من استعاراته وهي 70 فلقد أتت غير موصوفة.
- 7- المعجم الوسيط لا يوصف إلا 36 استعارة من 102 من الاستعارات الواردة في حرف الباء، وهذا قصور واضح لا ندري إن كان يدل على عجز في التعريف أو هو عائد إلى الغفلة أو الاضطراب، ومن الأمثلة التالية: البابا، البخت، البلسم، البيطار، فهل هي معربة أو دخيلة؟ وقد وصف البعض منها الجوالقي في معربه.
- 8- الباقي من استعارات المنجد وهي 66 استعارة موصوفة، أي: يطلق عليها وصفا عاما بحسب العبارات: عربيتها كذا، فارسي الأصل، فارسي معرب.
- 9- إن المعرب حسب المعجم الوسيط هو كل كلمة أعجمية دخلت العربية في العصور الكلاسيكية واستعملها العرب القدامى بقطع النظر عن مطاوعتها أو عدمها لأوزانهم، وذلك ما تدل عليه الأمثلة التالية: البازق، الباذنجان، البيرقدار، البيمارستان، أما الدخيل: في المعجم الوسيط فهو كل كلمة أعجمية دخلت العربية في العصور الحديثة بقطع النظر عن مطاوعتها للأوزان العربية أولا مثل: البابا، البابوية، البرلنت²³.

نستنتج من هذه المحاولة التي أجراها محمد رشاد الحمزاوي في الكشف عن الألفاظ المستعارة من اللغات الأجنبية في المعجم الوسيط والمنجد في ضوء الدرس اللغوي الحديث، اتضح لنا أن "قضية الاستعارة اللغوية التي نشأت مع القرآن تعتبر عملياً، ومهما كانت الاختلافات في شأنها وسيلة من وسائل التوليد اللغوي في العربية وتنمية المعجم العربي، بالرغم مما تقتضيه تلك الوسيلة من شروط كثيرة ما يتجاوزها ويتجاهلها لاسيما في ميدان العلوم ومنها الكيمياء"²⁴.

وإن ما تكابده الألفاظ المستعارة في المعاجم اللغوية العربية الحديثة أمور كثيرة نتيجة تداخل المصطلحات وتشعب مصدرها، وإن ما يجب مراعاته في وضع المعاجم الحديثة:

- غموض مصطلح الاستعارة وتشعبه في العربية التي كثرت فيها مصطلحاته دون والوصول إلى مصطلح عام.

- وضع معايير مضبوطة في استقراء المعربات والدخيلات ومستوياتها باعتبار الشيع والاطراد وإثبات ذلك في المعاجم.

- تجنب تداخل الاستعارات القديمة والحديثة وربطها بأنواع المعاجم وأهدافها وأهداف مستعملها.

- إن الاستعارة اللغوية جديرة بأن تعتبر وسيلة من وسائل التوليد اللغوية التي تستوجب معايير مضبوطة لا مانع من إسنادها إلى قواعد مرنة تتطور مع تطور اللغة²⁵.

ثالثاً: أثر التداخل الأسلوبي في تنمية المعجم العربي الحديث:

لقد أثرت الحضارة الغربية وما جاءت به من غزو ثقافي وفكري في الفكر العربي الحديث والمعاصر في مختلف جوانب حياته اليومية، فصار هذا الأخير يقرأ ثمرات الفكر الأوربي في اللغات التي كتب بها دون تمييز بين ما هو عربي أصيل وما هو أجنبي دخيل، لذا فإن المعنى في الدرس اللغوي الحديث يجد أن فيه "أساليب كثيرة لم تكن إلا وليدة الترجمة، هذه الأساليب غريبة عن العربية فهي بنت ظروف وأحوال اجتماعية لم توجد في هذا الشرق العربي، غير أن العربية وهي الساحة السهلة اللينة الطيبة لم تنتكر لهذه الأساليب فقد قبلها الاستعمال ورضاها حتى توهم القارئ وهو يقرأ صحيفته اليومية أن الذي يقرؤه عربي لم يعتوره الدخيل، ولم يقتصر الأمر على القارئ الذي لا يعنيه أمر العربية وأطوارها، وموضوع اللغات وأسرارها، بل خفي ذلك على القارئ الفطن المختص، فقد تجاوزت هذه الأساليب لغة الصحف السائرة إلى المقالة الأدبية الحديثة"²⁶.

وإن هذا الأمر راجع إلى الإعجاب الشديد باللغات الأجنبية والتباهي بثقافتها في ظل غياب أهل العقول الثاقبة في التصدي للترجمة الجوفاء نتيجة غياب العارفين بأصول العربية وفنون القول

فيها، ولو كان كذلك لما اندست في العربية أفكار وأساليب لا عهد ولا قبل للعربية بها، ولكن دخول هذه النماذج "لا ضير على العربية من دخول طائفة من هذه الأساليب، بل ربما أفادت منها وأثرت ونمت، وقد علمنا أن لغتنا قبلت من الدخيل الغريب شيئا كثيرا على مر العصور، ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو"²⁷.

وإن الواقف في تحديد وتوضيح الأساليب الأعممية من العربية، فإننا نقول له: فقد اندس هذا الدخيل الوافد فتعرب سواء ذلك رضينا به أم لم نرض، ونظرا لذلك فقد أجاز مجمع اللغوي بالقاهرة بدخول هذه الأساليب وكان نصه بقوله: "فالباب مفتوح للأساليب الأعممية أن تدخله بسلام، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي، وإنما هي كلمات عربية محضة، ركبت تركيبا خالصا، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفاده بتلك الكلمات"²⁸.

وسنعرض بعض الأساليب الأجنبية التي انتهت وجودها في الساحة العربية في الصحف والمجلات والكتب المطبوعة حديثة، نذكر منها:
استعمال الفعل (عاد) في تركيب لم يعرف في العربية، وإنما حدث ذلك عن طريق الترجمة، كأن نقول:

المقابل الأجنبي	الاستعمال العربي
Il n'est pas capable	لم يعد فلان قادرا ²⁹

ومن ذلك أيضا قولنا: (سافرت برغم المطر) أو (بالرغم من المطر) كما يقول الفرنسي: En Malgré، dépit فقبل أن يترجم المترجمون هذه الكلمة الفرنسية بكلمة (رغم) العربية كانت (رغم) مستعملة في فصيح الكلام العربي، إذ يقولون: (فعلت كذا على الرغم من فلان) و(برغم منه)، وكثيرا ما استعمل العرب كلمة (رغم) مع الأنف فيقولون: (على رغم أنفه) و(رغم أنف فلان) ولعل الفرق بين الاستعمالين العربي والإفريقي أن العرب يستعملون الرغم مع الأشخاص فيقولون: (رغمي) و(برغم فلان) أما الإفريقي فيستعملونه مع غير الأشخاص أيضا، إذ يقولون مثلا: (زرتك برغم المطر).

ومن ذلك أيضا قولنا: (أثر عليه) كما يقول الفرنسي: (Influer sur) فإن (أثر) وإن كان يتعدى في العربية بـ(في) لا بـ(على)، إلا أنه من الممكن أن يقال إنه في هذا التركيب مضمن معنى فعل يتعدى بعلى نحو تسلط أو تغلب، وأن التضمين قياسي، كما قرر ذلك مجمع اللغة العربية³⁰.

وبالتالي فإننا نستنتج من هذه النماذج _على الرغم من أنها ليست بعربية فصيحة_ أنها أثرت المعجم العربي الحديث وأغنته بمعاني كثيرة حاول العربي الفصيح أن يتأقلم معها وعهدها من لا ذوق له بالعربية الفصحى، فأصبحت هذه الأساليب جارية على سنن كلامهم، ولذا فقد أجاز إجماع الثقات من العلماء على استخدام هذه الأساليب بقولهم: "فلا بأس من استخدام هذه الأساليب في اللغة العربية متى تحققت العلاقات والشروط التي جرت عادة العرب أن يعتمدوا عليها ويراعوها في تعبيرهم المجازي والكنائي، ومتى كانت متلائمة مع الذوق العربي السليم ومستمدة عناصرهم من أمور مألوفة في البيئات العربية، ولكن متى وجد لتعبير منها نظير في كلام الفصحاء من العرب، كان الأفضل والأصح العدول عنه إلى ما يماثله في كلامهم"³¹، حتى يجد العربي الفصيح على الأقل راحة فكرية تنجيه من الأساليب الأجنبية والمفردات العربية المفككة والريكة.

هوامش الدراسة:

- ¹ وحي القلم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر، دط، 1941، ج3، ص33.
- ² محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القدم والحديث، ص09.
- ³ فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، ص348.
- ⁴ عبد الصبور شاهين: دراسات لغوية _القياس في الفصحى والدخيل في العامي_، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1986م، ص226.
- ⁵ ينظر: ديوان الأعشى، شرح وتعليق محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط7، 1407هـ، ص345.
- ⁶ ينظر: الجوالقي: العرب من الكلام الأعجمي على حروف العجم، وضع حواشيه وعلق عليه خليل عمران المنصق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998م، ص14.
- ⁷ عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، القاهرة، ط2، 1957م، ص56.
- ⁸ ينظر: جلال الدين السيوطي: المهذب فيما وقع في القرآن من العرب، وللتفصيل: ينظر: محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحدائث، ص159 وما يليها.
- ⁹ سورة الشعراء، الآية 195.
- ¹⁰ محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحدائث، ص142.
- ¹¹ علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، ط2، 1987، ص100.
- ¹² ينظر: حركة التعريب في العراق، ص23. ومسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، ص50.
- ¹³ ينظر: العربية والحدائث، ص170. والترجمة والتواصل دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2000.

-
- ¹⁴ محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة، ص 157.
- ¹⁵ العربية والحداثة، ص 157.
- ¹⁶ عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص 103_104.
- ¹⁷ إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1966، ج 3، ص 102
- ¹⁸ ينظر: التعريب بين القديم والحديث، ص 161.
- ¹⁹ ينظر: عبد الصبور شاهين: دراسات لغوية _القياس في الفصحى والدخيل في العامي_، ص 229.
- وحي القلم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر، دط، 1941، ج 3، ص 33.
- ²⁰ ينظر: الأب نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، ص 136.
- ²¹ ينظر: عبد الصبور شاهين: دراسات لغوية، ص 229_230.
- ²² إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 120.
- ²³ العربية والحداثة، ص 170.
- ²⁴ م ن، ص 170.
- ²⁵ م ن، ص 170_171.
- ²⁶ إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن، ص 283.
- ²⁷ م ن، ص 284.
- ²⁸ م ن، ص 285.
- ²⁹ م ن، ص 286.
- ³⁰ عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص 183.
- ³¹ م ن، ص 184.